

«إن النهوض باللغات الأجنبية في منظومة التعليم المغربي، إلى جانب اللغتين الرسميتين العربية والأمازيغية، من شأنه رفع فرص اندماج التلاميذ في سوق العمل، مع تمكينهم من الانفتاح على العلوم، وهذا لا يعني إطلاقاً تهميش اللغة العربية».

رشيد بلمختار  
وزير التربية الوطنية والتكوين المهني في المغرب



## المدارس الأجنبية في البلدان العربية.. تعليم عصري يصطدم برؤى ضيقة

### ● التدريس الأجنبي يضمن للأبناء الحصول على وظائف ● الخوف من تخرج طلبة مزدوجي الانتماء يؤثر على النظرة للتعليم الأجنبي



التزود بمختلف اللغات سلاح المستقبل

التحكم في عدم تغيير ثقافة طلبة المدارس الأجنبية وهويتهم، أمر ممكن من خلال الاعتماد على معلمين عرب

وأضاف لـ"العرب"، أن هناك بعثات تعليمية عربية في دول أوروبية، إذن ما الفرق بين تعليم أجنبي في الخارج وآخر تحت عينك على أرضك؟ ويشير إلى أن خريجي هذه المدارس لديهم القدرة على الإبداع والتعلم بروح العصر والتكنولوجيا الحديثة، وما محاولة البعض التركيز على سلبياتها فقط إلا نوع من القصور التربوي.

ويذهب البعض من الخبراء إلى أنه يمكن التحكم في عدم تغيير ثقافة طلبة المدارس الأجنبية وهويتهم، بتطبيق القانون المنظم بشأن جنسية المعلمين أنفسهم (في مصر لا يزيد عددهم على 10 بالمئة من مجموع معلمين المدرسة)، بما يسمح بالاعتماد على معلمين عرب لسد الفجوة بين ثقافة المعلم الأجنبي وهويته من جهة، وثقافة الطلبة وهويتهم من جهة أخرى.

ويستبعد معنيون بالشأن التعليمي العربي أن تقدم أي دولة عربية على اتخاذ خطوات من شأنها التضييق على المدارس الأجنبية، في ظل التقارب العربي الأوروبي مؤخرًا، وتحول هذه المدارس إلى نقاط تقاهم، حتى أن البعض منها صار يشبه مقر السفارات، كدليل على التواصل الرسمي بين الدول صاحبة المدرسة والبلد العربي صاحب الأرض.

ويقول هؤلاء إن حرص الأسر العربية على تسليح أبنائهم من خلال المدارس الأجنبية بالعلم وروح العصر الذي يعيشون فيه، لا يجب أن يتم على حساب تحولهم في ما بعد إلى طلبة مهجنين، لا عرب ولا غربيين، في ظل عزهم عن تحقيق التوازن بين الطريقة التي يتعاملون بها داخل المدرسة، والأخرى التي يمارسون بها حياتهم مع باقي أفراد المجتمع.

ولذلك يرى محب الرفاعي، وزير التربية والتعليم المصري السابق، أن "الأسرة عليها الدور الأكبر في الرقابة والتوجيه بخصوص الثقافة والهوية والدين، حتى وإن كان للتعليم الأجنبي سلبيات، لكنه ليس مليئًا بالشرور، بل إن هناك مدارس تؤسس النشء بطريقة تجنبهم الخلل وتشجعهم على الانفتاح والتقدم".

أصبحتا موجودتين في كل منزل عربي تقريبًا من خلال التكنولوجيا، فالتالي في المدرسة الحكومية يبحث عن تعلم الثقافات الأوروبية، سواء من خلال الإنترنت أو عبر ألعاب الكمبيوتر وحتى من خلال الأفلام الأجنبية، وبالتالي يعدّ الحفاظ على الهوية والدين والثقافة والعادات والتقاليد، أحد أهم مسؤوليات الأسرة، والدولة هي التي تراقب ذلك.

وهناك رأي آخر، يقول إنه لا يجب أن تكون المدرسة منبرًا لتعليم الدين، سواء الإسلامي أو المسيحي، لأنها محراب علم بالأساس، وخط الدين بالعلم داخل المدرسة أو الجامعة، هو البنية الأولى لزراعة التطرف والإقصاء على أساس الدين.

وأمام تحول العالم إلى مجتمع صغير، وتعالى الأصوات التي تنادي بضرورة وجود حوار بين الثقافات لتقاربها كإحدى سمات هذا العالم الجديد، تبرز أهمية التوسع في التعليم الأجنبي داخل الدول العربية، لكن ذلك لا يجب أن يتم بعيدًا عن رقابة الحكومات، حتى لا تتحول المدارس الأوروبية إلى أماكن لاستعمار العقول، وتصبح "دولة أجنبية داخل الدولة العربية"، وهذا أكثر ما يثير المخاوف.

لم يعد التوسع في إنشاء المدارس الأجنبية ظاهرة محدودة في المجتمعات العربية، بل أصبحتا نشهد "سباقًا" محمومًا من جانب الأسر وأولياء الأمور على إلحاق أبنائهم بها، إما بحثًا عن تعليم عصري بعيدًا عن تدني مستوى المدارس الحكومية، وإما لحجز مقاعد لأبنائهم بعد التخرج في جامعة أجنبية، ووظيفة مرموقة، تؤهلهم لأن يكونوا في مستوى اجتماعي متميز مستقبلاً.

أميرة فكري

قد يؤدي إلى أن يكون البعض من مناهجها الدراسية يحتوي على دروس ومعلومات مغلوطة ومجافية للحقيقة، تصبح مع الوقت مسلما بها عند الطالب، فلا يستطيع تغييرها أو الإيمان بعكسها بسهولة. وعلى سبيل المثال، اكتشفت وزارة التربية والتعليم في مصر، قبل أشهر، أن المدرسة الأميركية بالقاهرة، وضعت درسا ضمن مناهج التاريخ للصف الثالث الثانوي، يقول "إن إسرائيل هي من كسبت حرب 6 أكتوبر 1973 ضد مصر"، وكانت المفارقة أن أحفاد الرئيس المصري الأسبق أنور السادات، الذي ربح الحرب لصالح مصر، يدرسون في هذه المدرسة نفسها، وقد تدخلت وزارة الخارجية المصرية لدى السفارة الأميركية بالقاهرة، لتعديل هذا المنهج.

وتتركز في المحافظات الحضرية المصرية 183 مدرسة أجنبية، وأهمها القاهرة والجيزة والإسكندرية، وتتعدد جنسياتها بين الأميركية والألمانية، واليابانية، والفرنسية، والإيطالية، والإسبانية، والروسية. ورغم هبات هذه المدارس، هناك من يبرر وجودها بأنها نتاج لتدهور التعليم الحكومي، وبالأخص تجاهل الاهتمام بتدريس اللغة الإنكليزية في المدارس الحكومية، رغم أنها لغة عالمية يسعى الجميع لتعلمها في الشرق والغرب على حد سواء، ويقولون إنه لو كان هناك أسلوب حديث ومتطور في التدريس الحكومي لما نشطت المدارس الأجنبية إلى هذا الحد.

ويشير تربويون إلى أنه حتى لو كانت للتوسع في المدارس الأجنبية داخل البلدان العربية أهداف سياسية، تنتشر وراء المناهج التعليمية، فإنها مع ذلك تمثل ضرورة حضارية وتعليمية معاصرة، وإن كانوا يطالبون بأن يكون ذلك تحت رقابة الأجهزة المسؤولة في الدول العربية.

العولمة في كل بيت

يرى كمال مغيث، الباحث التربوي في مصر، أن نسبة الطلبة العرب في المدارس الأجنبية لا تزيد على واحد بالمئة من عدد طلبتها، وهؤلاء بحاجة إلى رقابة شديدة على المناهج التي يدرسونها وطبيعية التعامل معهم، والتكوين الثقافي والنفسي لديهم، رافضا فكرة التخلي الأبدي عن هذا النوع من التعليم ويؤكد أنه مطلب عصري.

ويبرر مغيث هذا الرأي، في تصريحات لـ"العرب"، بأن العولمة والثقافة الغربية

لا يسعى الآباء والأمهات إلى إلحاق أبنائهم بمدارس أجنبية، وقد تكون دوافعهم مقبولة عند البعض، لا سيما في ظل اعتبار التعليم أساس بناء شخصية الإنسان وتكوينه العقلي والنفسي والاجتماعي.

ومع ذلك، فإن الحديث عن خطورة المدارس الأجنبية على الهوية والثقافة العربية، وعن مسألة الانتماء إلى الوطن الأم، لا يتوقف، لا سيما وأن أغلب مناهج هذه المدارس تكون تابعة للأساس للدولة مالكة المدرسة، التي هي إما أميركية أو بريطانية أو ألمانية أو فرنسية، وغيرها.

وتظل قواعد التعليم في هذه المدارس الأجنبية، ومبادئها وشروطها، هي ما يحول دون أن ينظر إليها الكثير من المعنيين بالشأن التربوي نظرة إيجابية، وذلك في ظل تمسكها بأن تكون مواد اللغة العربية والتاريخ والتربية الدينية والوطنية "استثنائية" وليست أساسية، وإذا تم تدريسها فيكون ذلك على استحياء، فقط لإرضاء الدولة صاحبة الأرض، وهو ما ينتج عنه تخريج طلبة مشوهي الهوية والثقافة والتاريخ.

طلبة مشوهون

لذلك، تواجه هذه المدارس في الوقت الحالي حملة شرسة ضد وجودها في البلدان العربية، لأسباب تتعلق بتخريج شباب منقسمين وموزعي الوجدان بين اللغة التي يدرسون بها ولغة المجتمع الذي يعيشون فيه، كما أنهم لا يعرفون شيئا عن تاريخ بلادهم، ويعانون الإغتراب، علاوة على مبررات أخرى، منها أن هناك أبعادا وأغراضا سياسية لدى البلدان الأجنبية صاحبة المدارس، تستهدف الاحتلال الفكري والعقلي للشباب العرب.

يضاف إلى ما سبق، أن المدارس الأجنبية متهمه -في أعين البعض- بأنها تشجع على الطبقية والعنصرية والتمييز بين أبناء المجتمع العربي الواحد، خاصة وأن تكاليفها الدراسية لا تقدر عليها سوى الفئات ميسورة الحال، ما يجعل من قبول أبناء الطبقة المتوسطة والبسيطة أمرا مستحيلا، ففي مصر مثلا تصل التكاليف إلى ما يقرب من 10 آلاف دولار في السنة الواحدة.

ويرى مراقبون أن أكبر أزمة في المدارس الأجنبية هي أن أكثريتها لا تخضع لرقابة مشددة من جانب الحكومات العربية، ما

## هل تترعب كتب الكوميكس على عرش الكتب المدرسية مستقبلا

● كتب الكوميكس تعزز التحصيل الدراسي وتسهّل على الطلاب حفظ المعلومات

وتفاعلا مع نتائج الدراسة الحديثة بخصوص كتب الكوميكس والتطورات القادمة التي يمكن أن تشهدها، يتوجب على الآباء أن يعرضوا تلك الدراسة على المعلمين الراضين أو غير المقتنعين بهذا الواقع الجديد.

ويستمر مجال كتب الكوميكس في التطور والنمو، ما يفرض على الآباء الاستمرار في تشجيع أطفالهم بقدر ما يستطيعون على الإقبال عليها وعلى مطالعة كتب النصوص الثغرية.



المدرسون يبحثون عن بدائل مقنعة

للحمى ذي الإمكانات. وتوجد العديد من الأشياء الهامة في كتب الكوميكس أو في النصوص الثغرية التقليدية التي لا يمكن أن توجد في أي مكان آخر. وهي تساهم في توسيع مجالات الخيال، وتطور مهارات الإبتكار التي لا يستطيع العالم الحقيقي إقراءها.

ومن هنا تتيح الاحتفالات باليوم العالمي الكتاب الفرصة للملايين من الأطفال في جميع أنحاء المملكة المتحدة وإيرلندا للاستمتاع بتلك الإمكانات.

ويحسب التقارير التي تفتقر إلى إظهار القيمة الحقيقية للكتب العادية، فإنها غير قادرة مثلا على تحفيز طفل الثماني سنوات بما فيه الكفاية لإرتداء ملابس تنكرية. ولا تكمن قيمة الكتب في مدى فائدتها من عدمها، ولا حتى في كونها أداة تعليمية، فهي من وجهة نظر الناس في جميع أنحاء العالم توفر العديد من الخبرات وتقدم طرقا جديدة للنظر إلى الأشياء.

أما بالنسبة إلى الأطفال، فيوفر ذلك النوع من الكتب لمحات ملموسة لواقع نتحسسه دوما في أحلام اليقظة. ولكنها وسيلة نستطيع من خلالها تخطي جميع الحدود والقواعد في الأوقات الصعبة، فهي بمثابة المتنفس الذي نلجأ إليه في بعض الحالات، والوسيلة التي نحقق بها العدالة في بعض الحالات الأخرى.

وتكمن قوة كتب الكوميكس وأيضا قوة اليوم العالمي للكتاب في مدى عرضهما

من أشكال الأدب الذي من الممكن أن يسمح بتدوله، سنذكر أنها وجدت البيئة المناسبة للانتشار بين أوساط الأطفال والشباب. وتفسير دراسة حديثة، نشرت مؤخرا في مجلة "جورنال أوف جرافيك نوفلز أند كوميكس" الإنكليزية، إلى تفوق الكوميكس على النصوص الثغرية التقليدية كأداة تعليمية.

وأجريت الدراسة في أقسام علم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية في جامعة شيفيلد هالام بإنجلترا، وتم اختبار ذاكرة 90 مرسا مادة البيولوجيا لطلاب المرحلة الجامعية باستخدام الكوميكس والنصوص التقليدية.

وخلصت الدراسة إلى أن المادة التي تم تدريسها باستخدام كتب الكوميكس كان لها حظ أكبر في التحصيل الدراسي ومعدل أعلى في الحفظ في الذاكرة، ما يثبت فاعلية نظرية التلقي المزدوج، التي تؤكد بدورها أن عرض المعلومة بالطريقة النظرية والمرئية يساهم في تطوير عملية الفهم وتقوية الذاكرة بشكل كبير.

ولا يمكن استخلاص النتائج النهائية من هذه الدراسة كونها أولية، إلا أن

يرجع أن التعليم باستخدام كتب الكوميكس سيصبح أداة تربوية مستقبلية بالنسبة إلى الأطفال حتى سن البلوغ

لندن - أظهرت دراسة جديدة أن بإمكان كتب الكوميكس أن تلعب دورا حاسما في الفصول الدراسية، وتبعًا لذلك يمكن أن تعتمد وسيلة تعليمية تساهم في الرفع من مستوى التحصيل الدراسي لدى طلاب السنوات الأولى من التعليم.

وبموجب نتائج هذه الدراسة تخرج كتب الكوميكس من اعتبارها مجرد أداة للتسلية، إلى أداة تعليمية تقدم طريقة جديدة في النظر إلى العملية التعليمية من خلال تقاطعها مع نظرية "التلقي المزدوج".

انقضت الاحتفالات باليوم العالمي للكتاب في المملكة المتحدة تاركة العديد من الأطفال السعداء والإباء المهتكين. ارتدى الأطفال الملابس التنكرية التي حولتهم إلى شخصيات كرتونية كالأمير الصغير، وهيرميون غرانجر، والفنساء الخارقة وغيرها من الشخصيات المعروفة. وتساءل أحد الآباء هل يمكن أخذ كتب الكوميكس على محمل الجد؟

ويرى البعض أن الجدل الدائر حول فكرة اعتبار كتب الكوميكس أحد فروع الآداب أو تصنيفها ككتب ليس سوى زوبعة في فنجان، فيما يقول آخرون نحن نعيش في عصر ما بعد الحداثة، وهو عصر يؤخذ فيه كل شيء على محمل الجد، إذ تراجعت الثقافة العميقة كثيرا في مواجهة السطحية.

ويبقى الهدف من يوم الكتاب العالمي هو التشجيع على قراءة الكتب، من كل الأنواع والاتجاهات، وهو ما يعني أن كل كتب الكوميكس تستحق القراءة.

وإذا نظرنا إلى كتب الكوميكس، بغض النظر عن محتواها أو عن أنها تمثل شكلا